يحوي في محيطه واحد امن أكبر المشاريع الاستثمارية سياحيا

دار الحجر نبته عبقرية من الصخر

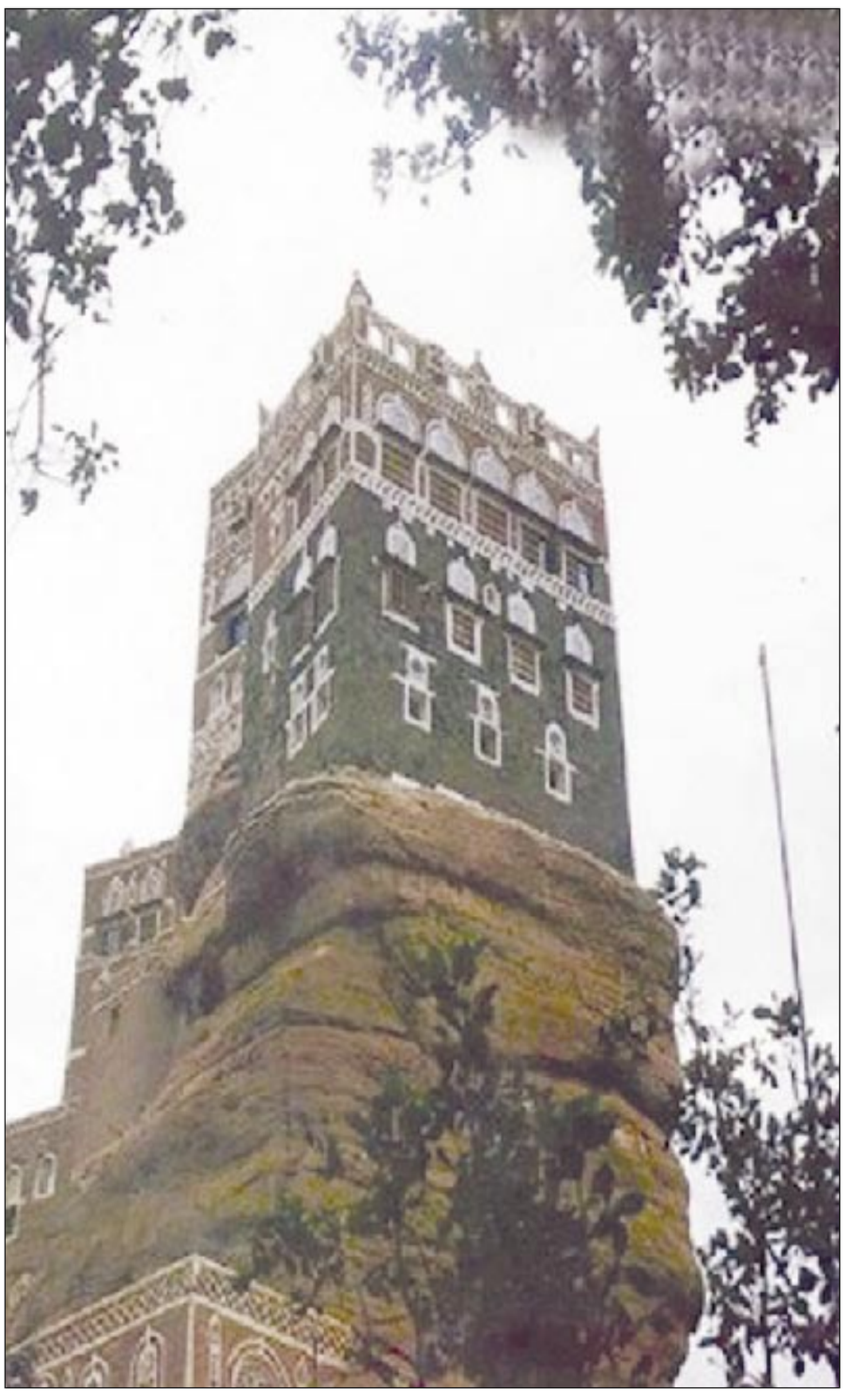

□ صنعاء / محمد السياغي:

يبدو وكأنه نبته عبقرية خرجت من الصخر ، أو لوحة فنية باذخة كانت تفاصيلها قد داعبت مخيلة فنان ماهر لسنوات قبل أن تتركها أنامله مقطوعة فنية معمارية واقعية منحوتة فوق صخرة نادرة التكوين، وعليها بلل حسه الرومانسي المترف.

من لم يزره فكأنما لم يزراليمن قط.. هكذا يقول غالبية زواره حينما تتملكهم الدهشة وهم يتمعنون في أدق تفاصيل بناءه وتخطيطه الهندسي، ويحيل المشهد أخيلتهم إلى واحات شاسعة تتسع معها مساحة التأمل والتذوق في ثنايا نموذج معماري فريد يطبع نفسه في الذاكرة ولا يغادرها أبدا .

إلى قصر الصخرة العملاقة و الذي يتوسط واحدا من أجمل و اشهر الوديان في الجنوب الغربي من العاصمة اليمنية صنعاء يعرف ب(وادي ظهر)، يتجه غالبية زوار اليمن يسبقهم الفضول في معرفة أسرار وعجائب القصر الذي يعود تاريخ بناءه إلى أواخر القرن الثامن عشر الميلادي حينما أمر ملك اليمن حينها الأمام المنصور على بن العباس وزيرة الأديب و الشاعر والمصمم المتميز في عصره على بن صالح العماري ببناءه على أنقاض قصر سبئي قديم كان يعرف بحصن ذو سيدان الباقية أثاره منحوتة في الصخرة حتى الآن .

وعلى الرغم كثرة القلاع و الحصون اليمنية ، إلا ان ما يتمتع به دار الحجر من ميزات كثيرة و مكانه سياحية و معمارية كبيرة ، قد جعلت منه انموذجا معماريا فريدا من أبرز نماذج العمارة اليمنية و العربية الأصيلة على الإطلاق ، و قبلة سياحية يقصدها آلاف الزوار سنويا من مختلف أنحاء العالم.

تتجلى خصوصية القصر لمشاهده من الوهلة الأولى ، وهي لحظة الانبهار بعبقرية التصميم، و ثنائية التناغم بين الطبيعية و الإبداع الإنساني، وفي واجهاته المختلفة غير المتشابهة مع بعضها ، ليوحي المشهد للناظر بمدى الغناء الباذخ في تفاصيل كل واجهه على حدة، وهي تعطي القصر من الخارج عدة مناظر ، بينما تمنح كل نافذة من الداخل مشهدا مغاير للوادي الشهير بزراعة (العنب و الفرسك والسفرجل واشجار الدوم العملاقة) والتي

أخذت جميعها تنحسر بسبب التوسع في زراعة القات.

حيث يظهر القصر الأعجوبة المكون من سبعة طوابق ، الذي يروى ان بنائه لم يكتمل بصورته الحالية كما هي اليوم إلا في بداية القرن العشرين على يد الأمام يحيى ابن حميد وتوارثه عدد من ملوك اليمن ،كقطعة فنية معمارية واحدة نبتت فوق صخرة ضخمة لا علم لأحد بسر وجودها، ولا كيف تدحرجت من الأعلى لتتوسط المسافة بالمتر الواحد في بطن الوادي، ويبدو مع ما حوله من مناظر للخضرة المستديمة ومساكن تقليدية، أشبه

بتحفه طبيعية رائعة تعود بالزائر إلى البدايات الأولى للتاريخ.

يعرف القصر بين أوساط السكان المحليين ب(قصر العجائب)، وهي عجائب تنكشف لك من مدخل القصر الخارجي حيث تنتصب شجرة معمرة يقدر عمرها بـ ٧٠٠ عام تقع إلى اليمين من بوابته القصر الرئيسية مرحبة بزواره على اختلاف الوانهم وأشكالهم، ودون كلل أو ملل من الخدمة في هذه الوظيفة القديمة.

تختلف الروايات حول تحديد نوعية الشجرة المعمرة ، غير ان الأهم ارتباطها الوثيق بمرحلة من المراحل التاريخية المختلفة للقصر الذي يعتقد بأنه يعود لعصر ازدهار الحضارة السبئية في اليمن، و تعد جزء لا يتجزء من النسيج التاريخي والتراثي للقصر، وكثيرا ما وقف الكثيرون إلى جوارها في وجه محاولات اقتلاعها ما ان يتجاوز الزائر الشجرة و تتخطى قدماه عتبة البوابة الرئيسة الخشبية الضخمة، وغرفة الحراسة الخاصة بالقصر ، حتى تستقبله باحة واسعة مرصوفة أرضيتها بالأحجار" الحبش" الضخمة، وبها ملحقات القصر الأسطوري من مسجد "مصلى" ، و استراحة،وجناح استقبال خارجي عبارة عن مبنى مستقل يقع قبالة القصر من الجهة الغربية .

يمثل المبني المنفصل مجلس صيفي للمقيل يصله بالباحة درج حجري و يرتبط ببهو فسيح به نافورة جميلة ، وتحيطه نوافذ خشبية هلالية الشكل ، تطل على الوادي من الجهة الغربية يمكن ان تحجب الرؤية من الوادي إلى المجلس الذي يستمتع فيه الجالس بمنظر بديع للوادي والقصر، وقد شيد المجلس بطابع المجالس العلوية المعروفة (بالمفرج) في مدينة صنعاء القديمة وكذا مجالس مدينة كوكبان لتاريخية .

لكن الإثارة تتزايد عندما يتجه الزائر إلى القصر عبر منحنيات ودرج حجرية، وأول ما يستوقفه باب خشبي تقليدي سميك مصنوع محليا من خشب (الطنب)، وفيه من المغالق ما هو ظاهر وما هو سري ليكشف للزائر

بالإضافة إلى متانة الصناعة المحلية ، مهارة و دقة التقنية المتناهية التي عرفتها الصناعة في اليمن منذ وقت مبكر.

بعد تجاوز الزائر لعتبة الباب يستقبله القصر ، بجدرانه الملونة ودرجاته الحجرية ، وهي توصله إلى غرف وطوابق القصر الذي يتكون من نحو ٣٥ غرفة يتجلى من خلالها التناغم بين ما هو مبني وما هو محفور على الصخر .

يفضي الدرج إلى الطابق الأول حيث جناح الاستقبال ، و الذي لا يصله سوى عليه القوم، و يضم صالة واسعة وغرف ملحقة .. بينما تنتهي به الملاحق إلى الطابق الثاني حيث يستغرق لردهه يخرج بعدها إلى خارج البناء الأساسي للقصر ليمر في رواق مكشوف منحوت في الصخرة وملتو عليها .

تنكشف للزائر بعض الأعاجيب هنا متمثلة في قبور صخرية منحوتة تعود إلى بدايات التاريخ .. بينما ينتهي به الممر إلى غرف قديمة النحت أيضا لها نوافذ مطلة على الوادي وتوحي باستخدامها للحراسة والقنص لعدم

القدرة على تحديد مكانها من خارج الصخرة .

يمثل هذا الجزء الصخري من الطابق الثاني بقايا القصر السبئي غير ان الجزء المكشوف من الممر قد غطي ببناء استخدم كمطبخ منفصل عن القصر، وما بين الغرف الصخرية والمطبخ تقع أعجوبة الأعاجيب في القصر

الأسطوري .

تبرز هذه الأعجوبة في بئر بفتحتين تشقان بطن الصخرة، ولا يعرف أحدا تاريخ حفرهما الموغل في القدم ، وتنقسم هاتين الفتحتين إلى فتحة صغرى تبدا في هذا الممر ، و تخلص بالتقائها بالفتحة الرئيسية بعمق خمسين مترا تقريبا .. بينما الفتحة الرئيسية التي تتصل بالأسفل عبر منحنيات وتعرجات ، لا يعرف نهايتها أحد قط.

والغريب المثير للتساؤل في نفس الوقت نفسهان أحدا ، وهو يطل برأسه على الحفرة ، لا يجرؤ على اكثر من العودة بتساؤلاته خائب الرجاء حول نهايتها ، وما إذا كانت بالمياه الجوفية وأين هي يا ترى؟ أم إنها تنتهي بمخرج لا يعلمه إلا الله ؟ ومن عساه حفرها ؟ وما سر اتصالها بأعلى المبنى نفسه؟ ولماذا انتهي التجويف المبني في الطابق السادس عند عتبة جناح الأمام تحديدا ، بعد تجاوز الطوابق من الثالث وحتى الخامس دون أي فتحات جانبية .

يعتقد بعضهم أنها بئر جوفية كانت خاصة بتوفير الماء للقصر .. بينما يروي آخرون إنها مصيدة نصبت لمن يحاول الاعتداء على القصر .. غير ان الأرجح بان تكون ممرا يفضي إلى خارج المبني في حال تعرض القصر

للسطو .

نعود للقصر و الى طوابقه العلوية، وقبل ان نلج إلى الطابق الثالث تستوقفنا غرفة صغيرة كانت مخصصة لمستخدم دون سن الحلم كان يعمل على خدمة المراسلة و جلب حاجيات حريم القصر و يطلق عليه لفظ " الدويدار" وهو لفظ تركي بينما تمثل الغرفة الحد الأخير الذي كان يسمح للحرس بالوصول إليه وعدم تجاوزه إلى الأعلى أبدا.

وفيما يشكل الطابق الثالث الجناح الخاص بوالدة الإمام، ويتكون من مجموعة غرف ، بالإضافة إلى خزانه محكمة ، فان الطابق الرابع ينقسم إلى قسمين الأول خاص بولي العهد به غرفة مربعة لها نافذة بديعة وفي نفس

الغرفة نفسها خزانة كبيرة مرتفعة الفتحة لا يمكن الوصول إليها إلا عبر سلم مبتكر تتعمق درجاته في الخشبية .

أما القسم الآخر المبني على الصخرة وتمثل الصخرة أرضيته فقد خصص لغرف الجواري والخادمات وفي الطابق نفسه توجد مطاحن الحبوب الحجرية المعروفة (بالرحى)، وتوجد أيضا الشرفة الظاهرة في الجهة الشرقية وهي المكان المخصص لغسيل الملابس وفيها بركة صغيرة تتجمع فيها مياه الأمطار المنسابة من أسطح القصر عبر قنوات معينة تنم عن ذكاء الاستغلال لهذه الكمية من المياه .

إلى الطابق الخامس حيث ينقسم الطريق إلى قسمين قسم يؤدي إلى الطابق السادس حيث جناح الإمام ودون المرور بالطابق الخامس المخصص مع جزء من السادس لأجنحة الحريم ، ويضم غرف للنوم وملحقاتها بالإضافة إلى مجلس واسع تميزه القمريات والنوافذ الواسعة" المشربيات " التي لا تسمح بالرؤية من الخارج للداخل.

يظهر عند عتبة الدرج الخاص بالإمام والمؤدي إلى جناحه طرف فتحه البئر الرئيسية، بعد ان تم تغطيتها بقطعة من الزجاج السميك ، وفي جناح الأمام نجد غرفة ركنية مريحة تطل على جهتي الشرق و الشمال ، وهي تمنح الغرفة جو باردا خلال فصل الصيف حيث كان يحرص الأمام يحيى على أن يقضية في هذا القصر .

ويوجد على أحد جدران الغرفة بورترية متخيل للأمام يحيى بريشة فنان إيطالي ، وفي الجوار كما توجد غرفة صغيرة جدا تضم ثلاث نوافذ صغيرة، وتسمى " الكمه " وهي المكان الذي كان فيه الإمام يختلي بنفسه، ويخصصها للتفكير ، والكتابة و حفظ أوراقه المهمة .

يتجلى في الطابق السابع والأخير مجلس واسع وملحقات ومطبخ علوي وشرفة مكشوفة كبيرة محاطة بإشكال بيضاوية كنوافذ تسمح بالرؤية بحرية بالإضافة إلى نوافذ مخصصه لإطلاله النساء كما يوجد في زاوية الشرفة

مكان مخصص للحمام الزاجل يبدو ان الإمام كان يستخدمه في المراسلات.

في هذه القصر تسمع الكثير من الحكايات ، إذ يقال ان البلاد في فترة حكم الأتراك شهدت أمطار غزيرة أدت إلى تهدم الدار ولم يبق له أي اثر بعد ذلك أتى إلى المنطقة الأمام عبد الله المنصور الذي أعاد بناء الثلاثة الأدوار بحجر حبش اسود وهو الموجود حاليا ومن ثم سكن فيه بعد موت الأمام عبد الله المنصور الأمام الناصر ويقال انه في عهده قامت بعض الحروب والخلافات بينه وبين أهل همدان والذين قاموا بقتله وهو نائم على فراشه وأخذوه ودفنوه هو والحراسة التي كانت معه في منطقة تقع جنوب وادي ظهر و يقول أبناء المنطقة ان قبره موجود حتى الآن ومعروف لدى الجميع .

وعقب وفاة الإمام الناصر كان الأئمة يتخوفون من سكن هذا الدار حتى ان الأمام يحيى بنا بعض القصور الأخرى في الوادي ولكن سرعان ما غير رأيه أعاد ترميم الدار وبناء بعض الأدوار الإضافية من مادة الياجور

وقام بإضافة بعض المرافق الأخرى مثل المجلس الخارجي والجامع المجاور وكتب على بابه " بناه لله المتوكل على الله ".

ولعل النقوش الجصية وحكمة التخطيط الهندسي للقصر والخزائن أو الثلاجات الطبيعية للمياه المبردة ، ومدافن الحبوب ، والفتحات الضيقة في أركان الدرج والتي لا تسمح إلا بمرور فتحات البنادق ، وغرف الحراسة المحيطة بالقصر و التي يتجاوز عددها سبع غرف تتوزع على الجبال المحيطة بالقصر ، وغيرها من الاحتياطات الأمنية ، جميعها توحي بسيطرة الهاجس الأمني للقصر كما تبين روعة وعظمة التصميم للقصر .

اليوم وبعد أن بات المكان وجهة سياحية مهمة بالنسبة للوافدين لليمن فأن محيطة بات مهيئا لاقامة واحدا من اهم المشاريع الاستثمارية السياحية والتي من المقررانشاءها خلال المراحل المقبلة والبالغة كلفته الاجمالية ٢٠ مليون دولار امريكي،بالاضافة الى مشروع تطوير منتزة وادي ظهر والذي يضم استراحات ومطاعم سياحية وحديقة للاطفال وموقف للسيارات وحمامات وأحواض سباحة، وملعب رياضي متكامل.. وهي مشاريع تطرح في مؤتمر الفرص الاستثمارية كواحدة من الفرص الاستثمارية السياحية في اليمن.

التلوث خطر يهدد حياتنا

بيارات المجاري تهدد مستقبل الشرب

المشكلة تبدأ من البيئة الملوثة وتنتهي بأمراض مزمنة

تعبر المياه البحرية اليمنية ما يقرب من ثلاثين ألف سفينة سنوياً وتنقل ما يقرب من ٨٪ من مجمل تجارة العالم ومن هذه السفن اعداد كبيرة من ناقلات النفط التي تشكل خطراً على البيئة البحرية اليمنية والخطر ليس فقط من ناقلات النفط وإنما من جميع السفن التي تمر أو تعمل في بحارنا بما فيها الاعداد المتزايدة من سفن صيد الاسماك حيث أن محركات السفن تعتمد على النفط لتشغيل محركاتها باستثناء العدد الضئيل منها تسير بالطاقة النووية ومعروف أن هذه المحركات تولد كميات ملموسة من الزيوت العامة والمتسربة وتجمع تلك الزيوت في خزانات خاصة في قاع كل سفينة وعادة ما تكون مخلوطة مع المياه والتي يفترض ألّا ترمى الى البحر إلّا بعد معالجتها بحيث لا تفوق نسبة الزيت في الماء أكثر من ١٥ جزء في المليون ولكن الذي يحدث فعلاً أن كثيراً من هذه السفن ترمي مخلفاتها الى البحر دون أية معالجة خاصة في البحار التي لا يوجد عليها أي اشراف أو رقابة فعلية كما هو الحال بالنسبة للبحر الاحمر وخليج عدن .

تحقيق / علي محمد عبدالله

كما تقوم ناقلات النفط الخام بغسل خزاناتها بعد تفريغ حمولتها لكي تكون جاهزة لشحن الحمولة اللاحقة وعندها تقوم برمي الغسيل الملوثة الى البحر كما أن مخلفات التجمعات السكانية القريبة من الشواطئ تعتبر أحد المصادر الرئيسة لتويث البيئة البحرية كون الصناعات الثقيلة لا وجود لها في بلادنا والصناعات الخفيفة محدودة في عددها وحجمها ونتيجة لأن محطات المعالجة تعني من كميات مياه الصرف التي تفوق طاقتها مما يؤدي الى تسرب الفائض الى أماكن مفتوحة نجد أن ثلثي المياه التي تفيض في محافظتي عدن والحديدة تذهب الى البحر مما تسبب في تلوث البيئة البحرية الساحلية أما في المكلا فيتم ضخ المياه العادمة الى البحر مباشرة دون معالجة .

مياه الصرف الصحي في الجمهورية اليمنية

تغطي شبكة الصرف الصحي في الجمهورية اليمنية بعض المدن الرئيسة بشكل جزيء وهي تغطي نسبة ١٢,١٦٪ من سكان الجمهورية و ٥٢,٦٥٪ بالمائة من سكان الحضر بينما تصل في الريف الى ٢٦,١٨٪ أما الحفر المكشوفة فتغطي ما نسبته ٢٧,٥٧٪ من سكان الجمهورية و ٦,٩٩٪ من سكان الحضر و ٣٣,٧٩٪ من سكان الريف

ومن الملاحظ بشكل عام أن هناك نسبة كبيرة من سكان الجمهورية ليس لديهم أي سويلة للصرف الصحي وهي تمثل حوالي ٣١,٣٣٪ من إجمالي السكان حيث تصل هذه النسبة الى ٢,٣٢٪ في الحضر و ٤٠,٠٤٪ في الريف .

وقد بدأ استغلال المياه المعالجة في الجمهورية اليمنية في عام ١٩٨٠م ولا تحتوي المياه العادمة كثيراً من المخلفات الصناعية بإستثناء مصنعي الغزل والنسيج في صنعاء وعدن المرتبطة بشبكة المجاري أما باقي المصانع فإنها تستخدم (بيارات) لإلقاء مخلفاتها الصناعية الى باطن الارض وتؤدي الى تلوث التربة والمياه الجوفية مع الزمن وتتكون المياه العادمة من المياه المستعملة في المنازل بنسبة أكثر من ٩٠٪ ومن ثم فهي تحمل تلوثاً عضوياً بدرجة رئيسية لذلك كان تصميم محطات المعالجة يرتكز على التنقية البيولوجية .

وتستخدم المياه العادمة في الجمهورية اليمنية في ري الذرة والقمح ، العنب ، القات ، وحيث أن المياه العادمة غنية بالعناصر الغذائية فالفلاحون يحبذونها حيث توفر لهم ثمن شراء الأسمدة .

التوسع في الامدادات والمعالجة

إن شبكة مياه الصرف الصحي ما زالت محدودة بين نسبة خدمة مياه الصرف الصحي في بعض المدن اليمنية والمحاصيل المروية بحسب تعداد السكان في عام ١٩٩٤م ولهذا يجب التوسع في امدادات شبكة الصرف الصحي وفي إقامة محطات المعالجة في كل المدن اليمنية والتخلص من البيارات لغرض اعادة استخدام مياه الصرف الصحي المعالجة في الري وتنمية الموارد المائية من ناحية والحفاظ على المياه الجوفية من التلوث من ناحية أخرى.

إن الطريقة السائدة للتخلص من المياه العادمة وإلقائها في (بيارات) حفر تصل اعماقها الى عشرين مترا تؤدي الى تسربها الى طبقات أعمق مع الزمن مما يؤدي الى تلوث المياه الجوفية من ناحية ولا يمكن معالجتها واستخدامها مرة أخرى.

النتائج الصحية الناجمة عن تلوث المياه لقد شاع في السنوات القليلة الماضية إنتشار أمراض معينة بشكل يدعو الى القلق والتي منها على سبيل المثال أمراض ارتفاع ضغط الدم وأمراض الكلى ومشكلات صحية أخرى لها علاقة بالمخ مثل كثرة النسيان وضعف الذاكرة عند الكبار والاطفال وأمكن ملاحظة أن هناك العديد من الامراض مثل تساقط الشعر وسرطان الدماغ وفقر الدم ونخر الاسنان والتليف الكبدي وأمراض المعدة وتشوه الجنين وقد أثبت العلم الحديث أن هذه الامراض تعود الى تراكم بعض العناصر الثقيلة في جسم الانسان بواسطة كثير من المصادر التي ربما تلازمه في حياته اليومية حيث تدخل هذه العناصر الى الجسم عن طريق الطعام والشراب (نتيجة الري بمياه الصرف الصحي غير المعالجة أو استخدام مياه ملوثة) ويبدأ تأثيرها على الاجسام عندما تتراكم فيها وتصل الى كميات محددة إذ يختلف هذا التأثير تبعاً لاختلاف نوع العنصر والفئة التي يتبعها فعنصر الكادميوم مثلاً يسبب للانسان الاضرار التالية :

– إفساد وظائف الكلى الذي يصل الى الفشل الكلوي وتبدأ هذه الاعراض الصحية في الظهور عندما يتراكم هذا العنصر في قشرة الكلى ويصل تركيزه الى ٢٠٠–٢٥٠مجم/ كجم .

– إرتفاع ضغط الدم عند استمرار دخوله الى الجسم بكميات ضئيلة ولمدة طويلة .

– تضخم القلب.

– وجد مصاحباً لحالات سرطان البروستاتا.

وعنصر الرصاص له أيضاً تأثيرات صحية مثل ضعف الذاكرة، سرعة الغضب والاثارة، الحركة الزائدة وخاصة عند الاطفال ، فقر الدم والتأثير في خصوبة الرجل والمرأة ، كما لوحظ أن زيادة عنصر الرصاص في دم الاطفال يؤدي الى التخلف العقلي .

وعند وصول مركبات الزرنيخ الى الدم تؤدي الى تكسير كريات الدم الحمراء ، كما أن التعرض لأملاح الكروم الى درجة التسمم الحاد من قبل الانسان فإنها تؤدي الى إتلاف الكبد والكلية ، اضافة الى أن تواجد النترات في مياه الشرب بتركيزات عالية تزيد عن (١٠) ملليجرام/لتر ، قد يؤدي الى حدوث بعض الامراض السرطانية عند الاطفال هذه هي النتائج الناجمة عن تلوث المياه وتحقيقاتنا القادمة تتناول ايضاً المنضجات الكيماوية للخضروات والفواكه ونتائجها الصحية على الانسان .

عزيزي السائق: **الحمولة الزائدة إضعاف لكفاءة السيارة واهلاك لها**

(أسبوع المرور والسلامة على الطريق)